قالوا ذات يوم

سماحة الشيخ بن صالح

د. ناصر

سماحة الشيخ عبدالعزيز بن صالح هو عم والدي وأنا تربيت في كنفه وبالتالى الحياة معه كلها درس سواءً في كلامه وفي نطقه وفى دروسه وإلماحاته وإشاراته وكل حركة من حركاته درس، وأنا كتبتُ كتابًا كاملاً عن الشيخ عبدالعزيز بن صالح وذكرت فيه جميع فضائله ومحاسنه وسماته، فبالتالى من الصعب أذكره في دقائق معدودة، لكن الشيخ عبدالعزيز فيه الخصال التي تجمع بين الجد والهزل المحمود والمرغوب وتجد علاقته مع أحفاده وأبنائه الصغار والخدم العاملين عنده، وكان له أوقات مرحة مع العاملين عنده، صحيح له مكانته العالية ومقامه وشخصيته المميزة من حيث الصرامة وفي الوقت نفسه تجده شخصية مركبة فيها الجد والحزم والابتسامة والصرامة، وتجده محافظًا على وقته بشكل منقطع النظير، فوقته لا يضيع هباءً أبدًا ومجلسه يؤمه جميع فئات المجتمع من بعد العصر إلى المغرب وقد يكون فيه قراءة لدرس، كذلك بعد المغرب، وبعد العشاء يتوجه للبيت له شؤونه الخاصة من جلوس مع الأسرة وصلاة قيام، وفي الصباح في عمله الرسمي.

د. ناصر عبدالله الصالح

●●●

من هم أعداء الله؟

زينب

لم تكن المساجد في يوم من الأيام مرتعاً للقتل وتصفية البشر، الذين جاءوا إليها للعبادة، وذكر الله، والوقوف بين يديه؛ لقضاء حوائجهم بالدعاء والاستغفار والتذلل والخضوع والخشوع، مجردين من كل ألوان البغضاء والمشاحنة، هو مكان للاجتماع في ظل الله وفي بيته، كما قال تعالى: (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً).

هي مكان – إضافة إلى العبادة – لنشر الحب بين المتعبدين والتعارف في ما بينهم، ومكان آمن للزوار ومن ليس له مأوى من عابري السبيل، ثم أصبحت زوايا للعلم، وحلقات لشتى العلوم الدينية والدنيوية، يؤمها العلماء لنشر العلم، والتفقه في الدين، لم تكن المساجد في يوم من الأيام كيانات سياسية، أو منابر حزبية، أو مواعظ تحريضية، أو خطباً تهييجية.

زينب الغاصب

●●●

وفي الآخر .. رماك

الحساني

مر رجل مكي بشيخ كبير يجلس على قارعة الطريق وهو يردد مقطعا من أغنية شعبية تقول: «يقولوا لي نسى حبك وفي الآخر رماك»، فتبسم المكي من قوله ومازحه قائلا: من هو هذا الذي رماك فتنهد الشيخ المسن ورد عليه: إنه ابني .. يا ولدي! فصدم جوابه السائل وحوقل واسترجع ولام نفسه على ممازحته للمسن لأنها فتحت في قلبه جرحا غائرا وعلم أنه أمام صورة من صور عقوق الوالدين التي أصبحت إحدى مظاهر الحياة المعاصرة .. للأسف الشديد.

محمد الحساني

العيد في عيون الشعراء

شكلت المناسبات الإسلامية مادة خصبة للشعراء منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا، وتفاوت إحساسهم به قوة وضعفا، عبادة وعادة، وأخذ هذا الاهتمام مظاهر عديدة، ومن هذه المناسبات، -إن لم يكن من أهمها- مواسم رمضان والحج والعيدين ؛ فهي تتكرر كل عام مع اختلاف الظروف والأحداث التي قد تمر بالشاعر خاصة أو تمر بالأمة الإسلامية عامة، وقد تفاعل الشعراء مع الأعياد تفاعلاً قويًا ظهر في أغراض شعرية منوعة منها:

١- تحري رؤية الهلال والاستبشار بظهوره:

من ذلك قول ابن الرومي:

ولما انقضى شهر الصيام بفضله
تجلى هلال العيد من جانب الغرب
كحاجب شيخ شاب من طول عُمْره
يشيرُ لنا بالرمز للأكْل والشُّرْب

وقول ابن المعتز:

أهلاً بفطرٍ قد أضاء هلالُه
فالآنَ فاغْدُ على الصَّحاب وبَكِّر
وانظرْ إليه كزورق من فضة
قد أثقلتْهُ حمولةٌ من عَنْبَر

٢- حقيقة معنى العيد:

وقد يغفل كثير من المسلمين عن المعنى الحقيقي للعيد فيظنونه في لبس الجديد واللهو واللعب فقط، وإن كان ذلك من سمات العيد ولكن هناك أمورًا أخرى ينبه إليها أبو إسحاق الألبيري حول حقيقة معنى العيد؛ فيقول:

ما عيدك الفخم إلا يوم يغفر لك
لا أن تجرَّ به مستكبراً حللك
كم من جديد ثياب دينه خلق
تكّاد تلعنه الأقطار حيث سلك
ومن مرقع الأطمار ذي ورع
بكت عليه السما والأرض حين هلك

وهو قول ينم عن عمق معرفة بحقيقة العيد، وكونه طاعة لله وليس مدعاة للغرور والتكبر.

ويستغل الشاعر محمد الأسمر فرصة العيد ليذكر بالخير والحث على الصدقة فيه تخفيفًا من معاناة الفقراء والمعوزين في يوم العيد؛ فيقول:

هذا هو العيد فلتصفُ النفوس به
وبذلك الخير فيه خير ما صنعا
أيامه موسم للبر تزرعه
وعند ربي يخبي المرء ما زرعا
فتعهدوا الناس فيه:من أضر به
ريب الزمان ومن كانوا لكم تبعا
وبددوا عن ذوي القربى شجونهم
دعا الإله لهذا والرسول معا
واسوا البراياوكونوا في دياجرهم
بدراً رآه ظلام الليل فانقشعا

وهذا الشاعر الجمبلاطي يستبشر خيراً بقدوم العيد، ويأمل أن يكون فرصة لمساعدة الفقراء والمكروبين حين يقول:

طاف البشير بنا مذ أقبل العيد
فالبشر مرتقب والبذل محمود
يا عيد كل فقير هز راحته
شوقاً وكل غني هزه الجود

وللشاعر يحيى حسن توفيق قصيدة بعنوان «ليلة العيد» يستبشر في مطلعها بقوله:

بشائر العيد تترا غنية الصور
وطابع البشر يكسو أوجه البشر
وموكب العيد يدنو صاخباً طربا
في عين وامقة أو قلب منتظر

ويستمر في وصفه حتى يختمها بقوله:

ياليلة العيد كم في العيد من عبر
لمن أراد رشاد العقل والبشر

والعيد ما هو إلا تعبير عن السعادة التي تغمر الصائمين بنعمة الله التي أنعمها عليهم باكتمال صيام الشهر الفضيل يقول محمد بن سعد المشعان:

والعيد أقبل مزهوًا بطلعته
كأنه فارس في حلة رفلا
والمسلمون أشاعوا فيه فرحتهم
كما أشاعوا التحايا فيه والقبلا

فليهنأ الصائم المنهي تعبده
بمقدم العيد إن الصوم قد كملا

٣- تهاني الشعراء للملوك بالعيد:

ويلاحظ المتتبع لموضوع العيد في الأدب العربي أن المدائح بمناسبة العيد قد شغلت حيزاً كبيراً من أشعار العيد، وأن بعضها يعتبر من غرر الشعر العربي. ومن هذه القصائد رائية البحتري التي يهنىء بها الخليفة العباسي (المتوكل) بصومه وعيده ويصف فيها خروجه للصلاة :

بالبر صمت وأنت أفضل صائم
وبسنة الله الرضية تفطر
فانعم بعيد الفطر عيداً إنه
يوم أغر من الزمان مشهر

وقال المتنبي مهنئًا سيف الدولة عند انسلاخ شهر رمضان:

الصَّوْمُ والفِطْرُ والأعيادُ والعُصُر
منيرةٌ بك حتى الشمسُ والقمرُ

وفي قصيدة أخرى مطلعها:

لكل امرئٍ من دهره ما تعوّدا
وعادةُ سيف الدولة الطَّعْنُ في العِدا

ويهنئ سيف الدولة بالعيد فيقول:

هنيئًا لك العيد الذي أنت عيده
وعيد لكل من ضحى وعيدا
ولازالت الأعياد لبسك بعده
تسلم مخروقاً وتعطي مجددا

فذا اليوم في الأيام مثلك في الورى
كما كنت فيهم أوحداً كان أوحدا
هو الجد حتى تفضل العين أختها
وحتى يكون اليوم لليوم سيدا

٤- الشكوى وندب الحال:

ولا يخلو العيد في كثير من الأحيان من منغصات قد يتعرض لها الشاعر خاصة في نفسه أو أهله وقد عبر عن ذلك كثير من الشعراء في قصائد خلدها التاريخ، يكاد من يقرؤها يشارك الشاعر معاناته ويلامس صوره وأحاسيسه، ولعل أشهر ما قيل في ذلك دالية المتنبي في وصف حاله الناس والتي يقول في مطلعها:

عيدٌ بأيّة حال جئْتَ يا عيدُ
بما مضى أم بأمْر فيكَ تجديدُ
أمّا الأحبة فالبيداءُ دونَهم
فليت دونك بيداً دونهم بيدُ

وما شكوى المعتمدُ بن عباد بعد زوال ملكه، وحبسه في (أغمات) بخافية على أي متصفح لكتب الأدب العربي؛ حين قال وهو يرى بناته جائعات عاريات حافيات في يوم العيد :

عبد الرحمن العشماوي

فدوى طوقان

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا
وكان عيدك بالّلذات معمورا
وكنت تحسب أن العيد مسعدةٌ
فساءك العيد في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعةً
في لبسهنّ رأيت الفقر مسطورا
معاشهنّ بعيد العزّ ممتهنٌ
يغزلن للناس لا يملكن قطميرا
أفطرت في العيد لا عادت إساءته
ولست يا عيدُ مني اليوم معذورا
وكنت تحسب أن الفطر مُبتَهَجٌ
فعاد فطرك للأكباد تفطيرا

ويبث الشاعر العراقي السيد مصطفى جمال الدين شكوى أيام صباه الأولي في قصيدة رائعة قال فيها:

العيدُ أقبل تسْعدُ الأطفالُ ما حملتْ يداه
لعباً وأثوابا وأنغاماً تَضجُّ بها الشِّفاه
وفتاكَ يبحثُ بينَ أسراب الطفولة عن (نداه)
فَيعودُ فيَ أهدابه دَمْعٌ ، وفي شفتيه (آه)

ويقول في قصيدة أخرى:

هذا هو العيدُ ، أينَ الأهلُ والفرحُ
ضاقتْ به النفسُ ، أم أودَتْ به القُرَحُ؟!
وأينَ أحبابُنا ضاعتْ مَلامحُهم
مَنْ في البلاد بقي منهم ،ومن نزحوا؟!

وفي قصيدة ثالثة يقول:

يا عيدُ عرِّجْ فقد طال الظما وجَفَتْ
تلكَ السنونُ التي كم أيْنَعَتْ عنَبا
يا عيدُ عُدْنا أعِدْنا للذي فرحَتْ
به الصغيراتُ من أحلامنا فخبا
مَنْ غيّبَ الضحكةَ البيضاءَ من غدنا
مَنْ فرَّ بالفرحِ السهرانِ مَنْ هَربَا
لم يبقَ من عيدنا إلا الذي تَرَكَتْ
لنا يداهُ وما أعطى وما وَهَبا
من ذكرياتٍ أقمنا العُمرَ نعصرُها
فما شربنا ولا داعي المُنى شَربا
يا عيدُ هَلاّ تَذكرتَ الذي أخَذَتْ
منّا الليالي وما من كأسنا انسَكَبا
وهل تَذكَّرتَ أطفالاً مباهجُهُم
يا عيدُ في صُبْحكَ الآتي إذا اقتربا
هَلاّ تَذكَّرتَ ليلَ الأمسِ تملؤُهُ
بِشراً إذا جِئْتَ أينَ البِشْرُ؟..قد ذَهَبا

٦- حال المسلمين ومآسيهم:

لم تعرف الأمة في عهودها السابقة حالة الاستضعاف التي شهدتها في القرن الماضي، لذلك كثر وصف الشعراء لمآسي الأمة وأحزانها خصوصًا كلما عاد العيد ومن ذلك قول الشاعر عمر بهاء الدين الأميري:

يقولونَ لي: عيدٌ سعيدٌ، وإنَّهُ
ليومُ حساب لو نحسُّ ونشعرُ
أعيدٌ سعيدٌ !! يالها من سعادة
وأوطانُنا فيهَا الشقاءُ يزمجرُ

وقوله:

يمرُّ علينا العيدُ مُرًّا مضرَّجاً
بأكبادنا والقدسُ في الأسْرِ تصرخُ
عسى أنْ يعودَ العيدُ بالله عزّةً
ونَصْراً، وَيُمْحى العارُ عنّا ويُنْسَخُ

بهاء الدين الأميري

يحيى توفيق

وشكوى الشاعر عمر أبو الريشة :

يا عيدُ ما افْتَرَّ ثَغْرُ المجد يا عيد
فكيفَ تَلقاكَ بالبِشْرِ الزغاريدُ؟
يا عيدُكم في روابي القدس من كبد
لها على الرَّفْرَفِ العُلْوِيِّ تَعْييدُ؟
سينجلي لَيْلُنا عن فَجْرِ مُعْتَرَكٍ
ونحنُ في فمِه المشْبوب تَغْريدُ

أما الشاعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي فيقول في قصيدته (عندما يحزن العيد) راثيًا حال الأمة الإسلامية بما يشاهده من معاناتها:

أقبلت يا عيد والأحزان نائمة
على فراشي وطرف الشوق سهران
من أين نفرح يا عيد الجراح وفي
قلوبنا من صنوف الهمِّ ألوان؟
من أين نفرح والأحداث عاصفة
وللدُّمى مقل ترنو وآذان؟

ثم ينتقل إلى الجرح الذي لم ندمل، والذي يؤرق الأمة الإسلامية ألا وهو جراحات مقدساتها العظيمة التي سلبها عدوّها لما نام عنها راعيها من المسلمين فقال:

من أين والمسجد الأقصى محطمة
آماله وفؤاد القدس ولهان؟
من أين نفرح يا عيد الجراح وفي
دروبنا جدر قامت وكثبان؟

وتتفاعل الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان مع أخواتها اللاجئات الفلسطينيات بين الخيام لتصور مأساتهن وما يعانينه من آلام التشرد واللجوء في يوم العيد فتقول:

أختاه، هذا العيد رف سناه في روح الوجودْ
وأشاع في قلب الحياة بشاشة الفجر السعيدْ
وأراك ما بين الخيام قبعت تمثالا شقيًّا
متهالكا، يطوي وراء جموده ألماً عتيًّا
يرنو إلى اللاشيء..منسرحا مع الأفق البعيدْ
أختاه، مالك إن نظرت إلى جموع العابرينْ
ولمحت أسراب الصبايا من بنات المترفينْ
من كل راقصة الخطى كادت بنشوتها تطيرُ
العيد يضحك في محيّاها ويلتمع السرورُ
أطرقت واجمة كأنك صورة الألم الدفينْ؟

وتذكر الشاعرة أخواتها بالعيد أيام الطفولة حيث المرح واللهو الطفولي في يافا وغيرها من مدن فلسطين التي استولى عليها المحتل الغاصب، وحرم أهلها من الابتسامة وفرحة العيد:

أترى ذكرت مباهج الأعياد في (يافا) الجميلهْ؟
أهفت بقلبك ذكريات العيد أيام الطفولهْ؟
إذ أنت كالحسون تنطلقين في زهو غرير
والعقدة الحمراء قد رفّت على الرأس الصغير
والشعر منسدل على الكتفين،محلول الجديلهْ؟
إذ أنت تنطلقين بين ملاعب البلد الحبيب
تتراكضين مع اللداتِ بموكب فرحٍ طروب
طورا إلى أرجوحة نصبت هُناك على الرمالِ
طورا إلى ظل المغارس في كنوز البرتقالِ
والعيد يملأ جوّكن بروحهِ المرح اللعوب؟

أما اليوم فلا تجد الفلسطينية غير الذكريات، ذكريات الطفولة تعيشها بين دموع فقد الدار والطرد والتشريد:

أختاه، هذا العيد رف سناه في روح الوجودْ
وأشاع في قلب الحياة بشاشة الفجر السعيدْ
واليوم: ماذا اليوم غير الذكريات ونارها؟
واليوم، ماذا غير قصة بؤسكن وعارها؟
لا الدار دارٌ، لا، ولا كالأمس، هذا العيد عيدُ
هل يعرفِ الأعياد أو أفراحها روحٌ طريدُ
عان، تقلبه الحياة على جحيم قفارها؟

ثم تصرخ وكأنها تقرر حقيقة مُرَّة وهي أن هذا العيد ليس لهم إنما هو للمترفين الذين لم تحركهم مأساة أخواتهم المشردات في الخيام المطاردات على الحدود في كل مكان هؤلاء الذين يحتفلون بالعيد ويفرحون به دون شعور بهذه المآسي إنما هم ميتو الإحساس والشعور، إنه عيد الميتين:

أختاه، هذا العيد عيد المترفين الهانئين
عيد الألى بقصورهم وبروجهم متنعمين
عيد الألى لا العار حركهم، ولا ذل المصيرْ
فكأنهم جثث هناك بلا حياة أو شعورْ
أختاه، لا تبكي، فهذا العيد عيد الميّتين!

عز الدين فرحات
عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المصدر : الإسلام اليوم

إشراف
علي محمد الحسون

بروفايل

من دخنة الى أرقى الأحياء

●● كان حي دخنة في الستينات والسبعينات الهجرية من تلك الأحياء التي كانت لها حضورها بين بقية الأحياء الاخرى في مدينة الرياض.. صحيح كانت أزقته الترابية لا تتمايز عن بقية الأحياء.. فكان أبناء ذلك الحي يمارسون ألعابهم وهم حفاة القدمين لا يرون فيما حولهم أي جديد.. كان هو أحد أولئك الذين مارسوا كل أنواع اللعب يومها كل ذلك التراب الذي كان يزكم الأنوف.. وان كانت له نظرته التي سبقت حياته.. تعلم من ذلك الحي كيف يعيش الإنسان البسيط في بسطاته التي يجب أن تسيج حياته..لتمضي به الأيام ويدخل الى عالم – الرياضة – كواحد من الذين شغفهم ذلك المجال فدخله إدارياً وكانت أولى خطواته في عالم الحرف الذي شغله حرفاً أدبياً راح يطالعه عبر تلك الكتب التي تأتي إلينا من الخارج في استحياء فكان حريصاً على الحصول عليها والتهامها في شغف واضح.. فدخل عالم القصة وهو الذي قرأ توفيق الحكيم واحسان عبدالقدوس.. ونجيب محفوظ وأدب المهجر.. وشعرائه واهتم أكثر بالشعراء الشعبيين وبالذات بالشعر النبطي الذي حفظ كثيرا من نصوصه ويستشهد بها في كثير من المواقف التي تمر به أو يمر بها.. ليدخل الى باب الصحافة وبحكم خلفيته الرياضية.. أصبح كاتباً رياضياً له حرفه الخاص به المشبع بطلاء الكلمة الأدبية المكتسبة بموهبته الأدبية.. فيستنم صفحة الرياضة في صحيفته التي تسنم رئاسة قيادتها فيما بعد.

كانت الصفحات الرياضية يومها تعيش أزهى أيامها بالتنافس الكبير بين بعضها البعض.. حيث جمعت كوادر رياضية تملك من موهبة الصحافة ما جعلها جديرة بقيادة الكثير من الصحف.

كان هو كما يراه البعض من البعيد رجلاً قاسياً.. لا يعرف أي سلوك لين أو بسيط لكن ما أن تقترب منه إلا وتجد إنساناً بسيطاً في تعامله.. وأن كان معتداً برأيه الى درجة العناد أحياناً.. يفعل ذلك من ايمانه المطلق بقدراته الذاتية.. ومع هذا لا يقطع تلك الشعرة بينه وبين من يخالفه الموقف.

عندما اقتربت منه ورأيت ذلك التباين بين مظهره ومخبره.. أدركت أن ذلك الحي الشعبي الذي بدأ من على ترابه حياته وعاش ذلك النمط الإنساني بين اهله أدركت كم هي حياتنا الأولى تؤثر على مسيرة حياتنا.

●● الآن وبعد رحلة امتدت لنحو أكثر من خمسين عاماً عاشها بالطول والعرض.. بكل ما فيها من دموع حزن وانكسار.. وهزائم ودموع فرح.. وسعادة وانتصار قرر الانسحاب من على رأس قمة العمل الذي اعتاده وعاشه وعاش فيه.. ان تركي عبدالله السديري وهو يلوح بيده مودعاً عالم الكلمة والحرف بعد مشواره الطويل.. يضع – ريشة – في وسط الكتاب.. الذي سطره عبر كل هذه السنوات التي مضت كحلم ليلة صيف أو ليلة شتاء قاسية الزمهرير.. ولكنه أجاد ما وضعه على جسمه رداءً واقياً من ذلك الصقيع ليمده دفئاً يعيش في كنفه.. وهو مطمئن البال رائق المزاج.

إنه طول التجربة التي عاشها لجديرة بأن توجد لدينا "سجلاً حافلاً بكل ما مر به في هذا المضمار اللامع والنيون اللافت في حياة الإنسان لعله يجد متسعاً من وقت أنيخرج لنا سفراً مليئاً بكل تفاصيل تلك التجربة الواسعة التي امتدت من بداية الثمانينات الهجرية حتى عامنا هذا.. والله المستعان.

محمد صلاح الدين